كلمة الدكتور محمد عامر ماردينى

رئيس جامعة دمشق

لا أعرف حقيقةً كيف أكتب نعيًا لك يا أستاذي ويا معلمي.

لقد حرمَتْني وفاتُك شعور الافتخار بأنني رئيس لجامعة فيها أستاذ عظيم مثلك. ورمز من رموز علم العقاقير في وطننا العربي الكبير.

لن أنسى أبدًا لقائي الأول بك وأنا طالب في السنة الثانية بكلية الصيدلة. أتلقى على يديك الكريمتين مبادىء علم العقاقير. كنت تُسمعنا ـ نحن طلابك ـ قصة عقار ست الحسن / البلادونا/ وكأنك تسرد لأطفالك قصة المساء كأب حانٍ. ما زلت أذكر سؤالك لنا لماذا سُمِّي هذا العقار بهذا الاسم؟ وجوابك أن الأتروبين كجوهر فعال في هذا العقار يوسِّع حدقة العين. وأن النساء في قديم الزمان استعملن مسحوقه كحلًا لتظهر عيونهن كبيرة مما يزيد من جمالهن. لذلك كان اسمه ست الحسن.

لن أنسى أحاديثك عن تاريخ وإنجازات علماء العرب والمسلمين كأبي بكر الرازي وابن سينا والفارابي والبيروني. كنت تصف لنا بيمارستان النوري بكل زواياه وأركانه فتنقلنا بشغف وفخر إلى أيام العرب المشرقة، ولكنني على يقين أن يومًا آت لا محالة سيقوم فيه أساتذة كلية الصيدلة في الجامعات العربية بتدريس حياة عالم سوري كبير، عشّاب دمشق محمد زهير البابا.

أما لقائي الأخير بك فكان بعد نحو ثلاثين عامًا من اللقاء الأول، في منزلك خلف مشفى الرازي، كنتُ حينها أُعزِّيك بوفاة أم مازن زوجتك المرحومة بإذن الله.

فبعد أن انتهيت من مراسم تقديم العزاء دخلت فورًا في حديث مشوِّق يشغل بالك عن تحقيق مخطوطة قديمة عمرها ألف سنة تتحدث عن نبات الدفلة.

هكذا العلماء لا يجدون وقتًا يضيعونه، ولا تهينهم شدائد، ينذرون أنفسهم للعلم ويُؤْثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؛ عنوان للعطاء بل هم يستمتعون بالعطاء دون مقابل.

جامعة دمشق حزينة على فراقك يا معلمي، لكنها تشكر الله أنك وُلدت من رحمها وعشتَ بين جنباتها ونذرتَ نفسك وعلمك لها، أعطيتَ حتى أرضيت، فرَضيَ الله عنك، وأرضاك عنا تلامذةً شاكرين لفضلك.

ويكفيني فخرًا أن صورتي عميدًا سابقًا لكلية الصيدلة معلقة إلى جانب صورتك عميدًا أسبق لها.

كما يكفيني فخرًا أن كُنْيَتَكَ أبو مازن كما هي كُنْيَةُ والدي رحمكما الله.